ملخّص اسئلة وشيء من اجوبة - الحلقة ٥ / الشيخ الغزّي
ما هي افضل خدمة حسينية ج٢
الخميس : ٢١/صفر/١٤٤٥هـ - الموافق ٧/٩/٢٠٢٣م

كانَ الحديثُ في الحلقة الماضية جواباً على أسئلة تدورُ مضامينُها حولَ الخدمَة الحُسينيّة..
تسلسلَ الحديثُ حتَّى وصلتُ إلى تلكَ الصورة الـمَهيبة لرأسِ الحُسينِ وهُو يتلو من سُورة الكَهْف: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**﴾، تشعَّبَ الحديثُ وتشقَّقَ حتَّى وصلتُ إلى ما قرأتهُ عليكُم من كتابِ (تحف العقول)، لابنِ شُعبة الحَرّاني، وصلنا إلى هُنا:
قَالَ الصّادقُ صَلَواتٌ عَلَيه: **مَن زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ بِتَوَهُّمِ القُلُوب فَهُوَ مُشْرِك ومَن زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ بالْاسمِ دُوْنَ الْمَعْنَى فَقَد أَقَرَّ بِالْطَّعْن لأَنَّ الاسْمَ مُحْدَثٌ، وَمَنْ زعمَ أَنَّهُ يَعْبُدُ الاسْمَ والْمَعْنَى فَقَد جعَلَ مَعَ اللّه شَرِيْكَاً، ومَن زَعَمَ أَنَّهُ يَعْبُدُ الْمَعْنَى بِالصِّفَة لاَ بِالإدْرَاك فَقَد أَحَالَ عَلَى غَائب، ومَن زَعَمَ أَنَّهُ يَعْبُدُ الصِّفَةَ والـمَوصُوف فَقَد أَبْطَلَ التَّوحيد ومَن زَعَمَ أَنَّهُ يُضِيفُ الـمَوْصُوفَ إلى الصِّفَة فَقَد صَغَّر بالكَبِيْر وَمَا قَدَرَ اللَّهَ حَقَّ قَدْره، قِيلَ لَهُ: فَكَيفَ سَبِيلُ التَّوْحيد؟ قَالَ الإمَامُ الصَّادقُ صَلواتُ اللّهَ عَلَيه: بَابُ البَحْث مُمْكِنٌ وطَلَبُ الْمَخْرَجِ مَوْجُودٌ إنَّ مَعْرِفَةَ عَيْن الشَّاهد قَبْلَ صفته، وَمَعْرِفَة صفَة الغَائب قَبْلَ عَيْنه قِيلَ: وكَيْفَ تَعرِفُ عَيْنَ الشَّاهد قَبْلَ صفته؟ فَقَالَ الإمَامُ صَلَواتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيه: تَعرِفُهُ وَتَعْلَمُ علْمَهُ وتَعْرِفُ نَفْسَكَ بِه وَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ بِنَفْسكَ من نَفْسك، وَتَعْلَم أَنَّ مَا فِيهِ لَهُ وبِهِ كَمَا قَالُوا لِيُوسُف إنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُف قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذا أَخِي، فَعَرَفُوهُ بِهِ ولَم يَعْرِفُوهُ بِغَيْرِه، وَلَا أَثْبَتُوهُ من أَنْفُسِهم بِتَوَهُّم القُلُوب.**
خُلاصةُ الكلام: فإنَّ المعرفةَ المطلوبةَ لا أن تَكُون من أوهامِ قُلُوبنا، من أوهامِ أنْفُسنا، ولا أن تكونَ من مُقدِّمات وأسبابٍ هي تقعُ خارجَ الحقيقة، إنَّما المعرفةُ أن نُدرِكَ الحقيقةَ بالحقيقة، هذا الَّذي أكَرِّرهُ دائماً؛ "من أنَّ الحقائقَ تحملُ قيمتها في نفسها"، علينا أن نَعرِفَ إمامَ زماننا وِفقاً لهذا المسعى، لهذا الاتّجاه، مثلما عَرَف أخوةُ يوسُف أخاهُم يوسُف.
-أَمَا تَرَى اللَّهَ يَقُول: "مَا كَانَ لَكُم أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا" - هذه اللقطةُ أُخذت من الآية الستين بعدَ البسملة من سورة النمل وفقاً للدَّلالَة الرّمزيَّة في تفسير الكتاب الكريم - **يَقُول: لَيْسَ لَكُم أَنْ تَنْصبُوا إِمَامَاً من قِبَل أَنْفُسكُم تُسَمُّونَهُ مُحِقَّاً بِهَوَىٰ أَنْفُسِكُم وَإِرَادَتِكُم** - الإمامُ دالٌّ على نفسه بنفسه، والإمامُ منصوبٌ من قِبل اللّه سبحانهُ وتعالى لأنَّهُ وجهُ اللّه، ووجهُ اللّه دالٌّ على نفسه بنفسه.
-ثُمَّ قَالَ الصَّادقُ صَلَواتُ اللّه عَلَيه: ثَلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُم اللّه وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِم يَوْمَ القِيَامَة وَلَا يُزَكِّيهِم وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيم - مَن هُم هؤلاء الثلاثة؟ - **أَوَّلاً: مَنْ أَنْبتَ شَجَرَةً لَم يُنْبِتْهَا اللّه، يَعْنِي مَن نَصَبَ إِمَامَاً لَم يَنصبْهُ اللّه، أو جَحَدَ مَن نَصَبَهُ اللّه** - الَّذي ينصبُ إماماً من عند نفسه هُو في الوقت نَفسه سيكونُ جاحداً للإمام الَّذي نَصَبهُ اللّه - **أو جَحَدَ من نَصَبهُ اللّه** - هذا الثاني، والثالث: **ومَن زَعَمَ أَنَّ لِهَـٰذَين** - للَّذي نَصَبَ إمَاماً من عند نفسه وللَّذي جَحَدَ إماماً نَصَبهُ اللّه - **سَهْماً فِي الإِسْلَام وَقَد قَالَ اللّه وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء ويَخْتَار مَا كَانَ لَهُمُ الخيرَة** - الخيرَةُ للّه سُبحانَهُ وتعالى.
خُلاصةُ الكلام: ما بيّنهُ سيد الشُّهداء حينما سألَهُ السَّائلُ عن معرفة اللّه وهو أن تعرفَ الأُمَّةُ إمامَ زمانِها الَّذي تجبُ طاعتهُ، خُلاصةُ القولِ هي هذه ولطالَما قُلتُها لَكُم، دينُنا بِكُلِّ تفاصيله تُلَخِّصهُ هذه الكلمة: (اعْرِف إمَامَكَ وعَرِّف بإمَامك)، كُلُّ الدِّينِ يجتمعُ في هذه الجُملَة القَصيرة..
هذه الكلماتُ القَصيرةُ ترسمُ لنا النَّهجَ الحُسينيّ، النَّهجَ المهدويَّ الواضح..
روايةٌ مُهمّةٌ جداً؛
في (الكافي الشريف)، الجزء الأوّل/ طبعةُ دار الأسوة/ طهران - إيران/ صفحة (١١٤)، كتابُ التوحيد، بابُ النِّسبة، الحديثُ الثالث: بِسَنده - بسند الكليني المتوفّى سنة (٣٢٨) للهجرة - عَن عَاصم بن حُميد، قَالَ: سُئِلَ عَلِيّ بنُ الحُسَين - إمامُنا السَجّاد صَلواتُ اللّه عليه - عَن التَّوحيد؟ فَقَال: إنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ في آخر الزَّمَان أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُون، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحد"، والآيات من سُورَة الحَديد إِلَىٰ قَوْله: "وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَات الصُّدُور" - إمامُنا السجّادُ يتحدَّثُ عن هَذه الآيَات الَّتي جاءت في أوّل سورة الحديد بعدَ البسملة من الآية الأولى إلى الآية السادسة..
إمامُنا السجّاد ضربَ لنا مثالين، هذا لا يعني أنَّ الأمر يتوقَّفُ على هَذين المثالين، أواخر سورة الحشر في السِّياق نفسه، الآية الَّتي نعرِفُها بآية الكُرسي، وآياتٌ كثيرةٌ تقعُ في هذا المجرى - فَمَن رَامَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَقَد هَلَك - فَمَن رَامَ توحيداً وراء حَقائق التوحيد الَّتي جاءت في سُورة التوحيد وفي الآيات الأولى من سورة الحديد وفي الآيات الأخرى في سائر السور الَّتي تأتي في السياق نفسه إنَّها حقائقُ التوحيد، لأنَّ التوحيدَ فكرةٌ نأخُذُها عن المعصوم من خلال القُرآن، هكذا نُخاطبهُم في الزيارة الجامعة الكبيرة: (مَن أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُم - وماذا بعد؟ - ومَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم)، نحنُ لا نستطيعُ أن نعرفَ اللّه بتوهُّمٍ من قُلُوبنا، لا نستطيعُ أن نعتمدَ على قُدراتنا الشَّخصيّة، لا نَستطيعُ أن نَثِقَ بمواهبنا مهما كانت عظيمةً، نحنُ لا نمتلكُ صلةً مباشرةً مع اللّه، الَّذينَ يمتلكونَ الصلة المباشرةَ مع اللّه؛ "مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد"، التوحيدُ فكرةٌ، عقيدةٌ، مفهومٌ، مضمونٌ نأخذهُ من المعصوم..
سورةُ الحديد الآياتُ الَّتي أُنزلت للمُتعمِّقينَ في آخر الزَّمان ويَا لَيتَنا كُنَّا منهُم؛
بعدَ البسملة من الآية الأولى إلى الآية السادسة: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِن - هذا المقطعُ من الآية يُنبئنا عن الَّذي تحدَّثَ عنهُ إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه من أنَّنا نَعرِفُ الحقيقةَ بالـ حقيقة، هذه هي الحقيقةُ كاملةٌ، هذا الضَّميرُ الَّذي يُقالُ له ضميرُ الغَيبة، هذا الضَّميرُ إذا كانَ يتحدَّثُ عَنِّي وعَنْكُم بغضِّ النَّظَرِ عن أنَّنا لسنا موجودينَ أو أنَّنا كُنَّا موجودين، فضمير الغَيبَة إذا كان يتحدَّثُ عنّي وعنْكُم عن أمثالنا إنَّهُ يتحدَّثُ عن الغائب، عن مَشهَد الحديث، قد أكونُ موجوداً ولكنَّكُم تتحدَّثونَ عنّي وأنا موجودٌ بقربكم لأنَّني لستُ مُشتركاً في مشهد الحديث ستُعبِّرونَ عنّي بالضَّمير الغائب، فدلالةُ الضَّمير الغائب عَلَيَّ وعَليكُم وعلى أمثالنا في الكلام الملفوظ المق روء المكتوب دلالةُ هذا الضَّمير أنَّنا غائبونَ عن مشهد الحديث، قد نكونُ موجودينَ في المكان، لكنَّنا غائبينَ عن مشهد الحديث، لكن حينما يُشارُ به إلى اللّه سبحانَهُ وتعالى فإنَّ المعنى سيكونُ مُختلفاً جداً فإنَّ الضَّميرَ هُنا يتحدَّثُ عن المصطلح الَّذي يُعرَفُ في كُتُب العُرفاء في كُتُب الفلاسفة إنَّهُ يُشيرُ إلى (الهُويَّة الغَيبيّة إلى غَيب الغُيُوب)، إلى الجهة الَّتي نحنُ نقطعُ بوجودها نُثبتُ وجودها لكنَّنا لا نعرفُ كُنهها، هذه هي الهُويَّةُ الغَيبيّة بحَسَبِ ثَقافةِ العترةِ الطاهرة، إنَّها الـ حقيقةُ الَّتي نُثْبِتُها، لأنَّها تدلُّ على نفسها بنفسها، لا تحتاجُ إلى آثارٍ تُوصِلُ إليها، لوضوحها لا نراها، لا تراها عُقُولنا..

"هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِن"؛ غايةُ إدراكنا أن نُثْبِتَ وجودَهُ، غايةُ إدراكنا أن نَعرفَ من أنَّنا صِغارٌ لا نستطيعُ أن نُبصرهُ لا بعقولنا ولا بقُلُوبنا ولا بِكُلِّ حواسنا ومَداركنا، نُثبتهُ بعقُولنا، نُدركهُ بقُلوبنا، ولكنَّنا لا نعرفُ كُنْهَهُ، غايةُ مَعرفتنا أن نعجزَ عن مَعرفتِه، "وغايةُ الإدراكِ أن أدري بأنِّي لستُ أدري"، هذه غايةُ إدراكنا، غايةُ معرفتنا عجزُنا عن معرفته، نُثبتُ وجودَهُ نُدركهُ بالفطرة، نحنُ صغارٌ.

نقرأُ في المناجيات الَّتي تعلَّمناها منهُم؛ نُخاطبهُ سبحانهُ وتعالى: ("مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الكَبِيرُ وَأَنَا الصَّغِير وَهَلْ يَرْحَمُ الصَّغِيرَ إِلَّا الكَبِير"، "مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الكَبِيرُ وَأَنَا الحَقِير - حَقِيرٌ في فنائك - وَهَل يَرْحَمُ الحَقِيرَ إِلَّا الكَبِير"، "مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الحَيُّ وَأَنَا المَيِّت وَهَلْ يرْحَمُ المَيِّتَ إِلَّا الحَيّ"، "مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الرَّبُّ وأَنَا المَرْبُوب وهَل يَرْحَمُ المَرْبُوبَ إِلَّا الرَّبّ"، "مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ أَنْتَ الْعَزِيزُ وَأَنَا الذَّلِيل وَهَلْ يَرْحَمُ الذَّلِيلَ إِلَّا الْعَزِيز"، مَوْلَايَ مَوْلَايَ يَا مَوْلَايَ)، الكلامُ لا ينتهي، أسماؤهُ الحسنى لا تنتهي، ونقائصُنا نحنُ لا تنتهي، وحاجتُنا إليه لا تنتهي.

وُجُودُنا عارِضٌ، الوجودُ الأصيلُ لا يُدرَكُ بالحواس، الوجودُ العارِضُ هو الَّذي يُدرَكُ بالحواس لأنَّهُ وجودٌ مُحْدَثٌ، وجودٌ محدودٌ مُقيَّدٌ، الوجودُ المطلَقُ بل ما فوقَ الإطلاق لا تستطيعُ هذهِ الكائناتُ المقيّدةُ المغلَّلةُ المحبوسةُ بنقصِها أن تُحيطَ بالحقيقةِ المطلقةِ بل ما فوقَ الإطلاق، العبائرُ قاصرةٌ والكلماتُ محدودةٌ، وثوبُ اللغة ضيقٌ..

هذه هي الهُويَّةُ الغَيبيّة الَّتي كانَ الصَّادقُ يُحدِّثُنا عنها وأن نُدركَها بِها، لا بتوهُّم القُلُوب ولا بشيءٍ آخرَ يكونُ خارِجاً عنها، أساساً هل هُناكَ من شيءٍ خارج عنها؟!

- هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِن - دالٌّ على ذاته بذاته - وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ - كيفَ حدثَ هذا؟ لا نستطيعُ أن نتصوّر الحقائقَ كما هي، إذا أرادَ المعصومُ أن يُفهِّمنا يستطيعُ أن يُفهِّمنا - يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾، شؤونُ الوجود، شؤونُ التَّكوين، تفاصيلُ الحياة في طبقاتِ كُلِّ العوالم.

موطنُ الشَّاهد هُنا: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، هذا هو مضمونُ الاستدلالِ بالذَّات على الذَّات - وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير ۞ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض - تُلاحظونَ هذا التكرار في الآيات، لَهُ حكمَتهُ - وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمور﴾ - فالعقلُ بِكلِّ ما فيه، والقلبُ بِكُلِّ ما فيه، والإدراكُ بِكُلِّ ما فيه مردَّهُ إليه، والعقلُ والقلبُ والبصيرةُ والفطرةُ تُثبتُ وجُودَهُ..

هذه الجُملةُ: "هُوَ اللَّهُ أَحَد"، تُلخِّصُ كُلَّ الكلام وفيها الكثير، "هُوَ اللَّهُ أَحَد"، ضميرُ الشأنِ هُنا يُشيرُ إلى الهُويَّةِ الغَيبيَّة الَّتي حدَّثتكُم عنها، وتحدَّثت عنها وأشارت إليها الآياتُ الأولى من سورة الحديد الَّتي أُنزلت للمتعمِّقينَ في آخر الزَّمان..

"هُوَ اللَّهُ أَحَد" ؛ الأحَدُ ما هُو الواحد، اللَّهُ ليس واحداً، وإذا وَقعَ التعبيرُ عن اللّه بالواحد فإنَّ الواحدَ هُنا ما هو بواحد العدد، اللَّهُ أحدٌ، "أحدٌ"؛ الذَّاتُ الَّتي ليس معها ذاتٌ أخرى، هذا هو المراد، إنَّها الذَّاتُ الأحديَّةُ الَّتي لا يَشبهُها شَيءٌ مِمَّا في خَيالنا..

في أدعية شهر رجب وتحديداً في الدعاء المهدويّ الَّذي أوَّلُه: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِك).

وفي هذا الدُّعاء تَردُ هذه العبارةُ العظيمةُ الشأن: (لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا - بَيْنَكَ وبَينَ حقائقِ مُحمَّد وآلِ مُحمَّد - إِلَّا أَنَّهُم عِبادُكَ وَخَلْقُك).

وتأتي العبارةُ أيضاً: (فَبِهِمَ - بِمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد - مَلَأتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ).

يقولُ هذا الدُّعاء عن التوحيد: (يَا بَاطِناً فِي ظُهُورِه وَظَاهِراً فِي بُطُونه وَمَكْنُونه، يَا مُفْرِقاً بَيْنَ النُّورِ وَالدَّيْجُور، يَا مَوْصُوفاً بِغَيْرِ كُنْه - حينما نَصفُكَ نَصفُكَ بغيرِ كُنه، ومن هُنا فإنَّ الصِّفةَ غيرُ الموصوف - وَمَعْرُوفاً بِغَيْرِ شِبْه، حَادَّ كُلِّ مَحْدُود وشَاهِدَ كُلِّ مَشْهُود ومُوجِدَ كُلِّ مَوْجُود ومُحْصِيَ كُلِّ مَعْدُود وفَاقِدَ كُلِّ مَفْقُود - فَهُو فَاقِدٌ لِكُلِّ مفقود لكُلِّ نقص لا وُجودَ لَهُ - لَيسَ دُونَكَ من مَعْبود - أنتَ المعبودُ فقط - أَهْلُ الكِبْرِيَاءِ وَالْجُود، يَا مَنْ لَا يُكَيَّفُ بِكَيف - ليس لهُ من كيف - ولا يُؤَيَّنُ بِأَيْن - وَلَيسَ لهُ من أَيْن - يَا مُحْتَجِباً عَن كُلِّ عَيْن يَا دَيْمُومُ يَا قَيُّوم وَعَالِم كُلِّ مَعْلُوم)، إلى آخر ما جاء في الدُّعاء الشريف.

تُلاحظونَ التناسقَ الواضح والاتساقَ البيِّنَ فيما بينَ سورة التوحيد في هذهِ الجُملةِ الَّتي اقتطفتُها من السورةِ من دُونِ أن أتوغَّلَ في سائرِ أنحاء السورة "هُوَ اللَّهُ أَحَد"، وما جاء مذكوراً في الآيات الأولى من سورة الحديد..

مضامينُ القُرآنِ المرموزةُ تشرحها لَنا كلماتُهم في أدعيتِهم الشريفة:

في دُعاء الصَّباح المروي عن أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: يَا مَن دَلَّ عَلَىٰ ذَاته بِذَاته - نخاطبهُ سُبحانهُ وتعالى - وتَنَزَّهَ عَن مُجَانَسَة مَخْلُوقَاته - كيفَ يُجانسُها؟ نستدلُّ به عليه، أمَّا الاستدلالُ بمخلوقاتِه عليه هذا استدلالٌ عابرٌ واستدَلالٌ قاصرٌ - وجَلَّ عَن مُلَائمَة كَيفيَّاته - إنَّهُ أجلُّ وأعظَمُ وأقدسُ من أن يُكَيَّفَ بِكَيف أو أن يُؤيَّنَ بِأَيْن..

- يَا مَن قَرُبَ من خَطَرَات الظُّنُون - الظُّنونُ هُنا لا يُقصَدُ منها الظُّنونُ الباطلة، لكنَّ أرقى ما تصلُ إليهِ البصائر ظُنون - وبَعُدَ عَن لَحَظَات العُيُون وعَلِمَ بِمَا كَانَ قَبلَ أنْ يَكُون.

زُبْدَةُ القَول هُنا: "يَا مَن دَلَّ عَلَىٰ ذَاته بِذَاته".

في دُعاء أبي حمزة الثُّمالي: دُعاءٌ مرويٌّ عن إمامنا السجَّاد صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، من أدعية السَّحر في شهر رمضان..

دعاء طَويلٌ مبسوط في مفاتيح الجنان: بِكَ عَرَفْتُك - فأنتَ تقولُ في الدُّعاء: (يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ)، حتَّى ينقَطِعَ النَّفَس، أنفاسي لا قيمةَ لَها، أنفاسي تنقطعُ وينقطعُ عقلي كما تنقطعُ أنفاسي، انقطاعُ أنفاسي إشارةٌ إلى موتي، وموتي إشارةٌ إلى توقُّف حواسِّي ومَداركي - بِكَ عَرَفْتُك وأنْتَ دَلَلْتَني عَلَيْك - وحتَّى معرفتي بِكَ فهي لم تَكُن بفضلٍ منِّي، أنتَ الَّذي دللتني عليها، ابحثوا في كُلِّ العالَمِ هل هُناكَ ثقافةٌ كهذه؟ - ودَعَوْتَني إِلَيْك وَلَوْلَا أَنْتَ لَم أَدْرِ مَا أَنْت - هذا هو منطقُ عليٍّ وآلِ عليٍّ..

مُناجاةُ العارفين المرويَّةُ عن سجَّادهم صلواتُ اللّه عليه: إِلَهِي قَصُرَت الأَلْسُنُ عَن بُلُوغِ ثَنَائك كَمَا يَليقُ بِجَلَالك، وَعَجَزت العُقُولُ عَن إِدْرَاك كُنْه جَمَالك، وَانْحَسَرت الأَبْصَارُ دُوْنَ النَّظَرِ إلى سُبُحَاتِ وَجْهِك - السبحاتُ هي العلائمُ الهالاتُ الأنوار - وَلَم تَجْعَل لِلْخَلْقِ طَرِيْقَاً إِلَى مَعْرِفَتِك إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِك - عجيبٌ أمرُ اللّه..

في مناجاة الذَّاكرين المرويَّة عن سَجَّادهم صلواتُ اللّه عليه: إِلَهِي إِلَهِي لَوْلَا الْوَاجِبُ من قَبُول أَمْرِك لَنَزَّهْتُك منْ ذكْرِي إِيَّاك عَلَىٰ أَنَّ ذكْرِي لَكَ بِقَدْرِي لَا بِقَدْرِك، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مِقْدَارِي حَتَّى أَجْعَلَ مَحَلَّاً لِتَقْدِيسِك، وَمِن أَعْظَم النِّعَمِ عَلَيْنَا جَرَيَانُ ذِكْرِك عَلَى أَلْسِنَتِنَا وَإِذْنُك لَنَا بِدُعَائِك وَتَنْزِيهِك وَتَسْبِيحِك.

وفي مُناجاة الشَّاكرين المرويَّة عن إمامنا السجَّاد صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: إلَهي إلَهي أذْهَلَني عَن إقَامَة شُكْرِك تَتَابُعُ طَوْلِك، وَأعْجَزَني عَنِ إحْصَاء ثَنَائك فَيْضُ فَضْلك، وَشَغَلَني عَن ذكْرِ مَحامدك تَرَادُفُ عَوائدك، وَأعْيَاني عَنْ نَشْرِ عَوارفك تَوالِي أيَاديْك - هذه الفصاحةُ والبلاغةُ العَلَويَّة، هذه الجُمَلُ بحاجة إلى شرحٍ وتفسيرٍ وبيان - وَهَذَا مَقَامُ مَنْ اعْتَرَفَ بِسُبوغِ النَّعْمَاء وَقَابَلَهَا بِالتَّقْصير وشَهِدَ عَلَى نَفْسِه بِالإهْمَال وَالتَّضْيِيع.

إلى أن تقولَ المناجاة: فَآلاؤُكَ جمةٌ ضَعُفَ لساني عَن إحْصائها، وَنَعْمَاؤُكَ كَثيرةٌ قَصُرَ فَهْمي عَنْ إدْرَاكِهَا - فكيفَ لا يَقْصُرُ فهمي عن إدراكِكَ يا ربِّ؟! - فَضْلاً عَنِ اسْتقْصَائِهَا، فَكَيْفَ لِي بِتَحْصيلِ الشُّكْرِ - أنا لا أستطيعُ أن أشْكُرَكَ - وشُكْرِي إيَّاكَ يفتقرُ إلى شُكْرٍ، فَكُلَّمَا قُلْتُ لَكَ الْحَمد وَجبَ عَلَيَّ لِذَلِكَ أنْ أقُولَ لَكَ الْحَمْد - أيِّ أدبٍ هذا؟! هل تعرفونَ أدباً كهذا الأدب؟ هل تعرفونَ ذوقاً كهذا الذَّوق؟ هل تعرفونَ تألُّهاً كهذا التألُّه؟ هذه كلماتُهم وهذه الكلماتُ ليست بحسبِهم، هم أعظمُ من هذا، هذه الكلماتُ بحسبنا هُم يُعلِّموننا يُريدونَ مِنَّا أن نمتلكَ ذائقةً كهذه الذَّائقة، يُريدونَ مِنَّا أن نتأدَّبَ بهذا الأدبِ مع اللّه، أمَّا هُم فذلكَ شيءٌ لا أستطيعُ أن أتوهَّمَهُ، فضلاً عن أن أتصوَّرَهُ..

في دُعاء يومِ عرفة؛

إنَّهُ الدُّعاءُ المرويُّ عن سيِّد الشُّهداء صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه: إلَهي عَلِمْتُ بِاخْتِلَاف الآثَار وَتَنَقُّلَات الأطْوَار - في نفسي وفي الأفاق - أنَّ مُرَادَكَ مِنِّي أنْ تَتَعَرَّفَ إلَيَّ في كُلِّ شَيء حَتَّى لا أجْهَلَكَ في شَيء - كلمةُ سيِّد الأوصياء: (مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إلَّا وَرَأيتُ اللّه قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ وَمَعَهُ وفيه)، وهذا التجلِّي يظهرُ لنا في الزيارة الجامعة الكبيرة ونحنُ نُسَلِّمُ عليهِم ونقولُ لَهُم: (وَالْحَقُّ مَعَكُم - سادَتي آلَ محمَّد - وَفِيكُم وَمِنْكُم وَإلَيْكُم وَأنْتُم أهْلُهُ وَمَعْدِنُه - ولا تُوجدُ ألفاظٌ أخرى كَي تُرصَفَ مع هذه الكَلمات..

هذه رحمتهُ يُعرِّفُنا نَفسَهُ من خلال آثاره، وهذا المسارُ فيه إساءةُ أدبٍ بحقِّ جلاله، لكنَّهُ برحمته برأفته بألطافه يُهيئُ لنا أسبابَ المعرفة - إلَهي مَن كَانَت مَحَاسِنُهُ مَسَاوي - هذه حقيقتُنا - فَكَيْفَ لَا تَكُونُ مَسَاوِيهِ مَسَاوي، ومَن كَانَت حَقَائِقُهُ دَعَاوي فَكَيْفَ لَا تَكُونُ دَعَاوِيه دَعَاوي - إذا كانت مَحاسنُنا سيِّئات فَمَا بَالُ سيِّئاتنا؟! وإذا كانت حقائقُنا ادِّعاءات فما بالُ ادِّعاءاتنا؟! - إلَهي إلَهي تَرَدُّدي في الآثَار - هذه الآثار نفسي والأفاق، أُريدُ أن أعرفكَ من خلال نفسي، فمن عرفَ نفسَهُ فقد عَرَفَ ربَّه، هذا مَسْلَكٌ وهُو مَسْلَكٌ قاصر بحسبنا - يُوجِبُ بُعْدَ الْمَزار - يُبعدُني عَنك، يُبعدُني عن أن أعرفكَ كما تُريد - فَاجْمَعْنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَة تُوصِلُني إلَيْك - الخدمةُ الحُسينيَّةُ الَّتي هي الخدمةُ المعارفيَّة هي هذه، وماذا يقولُ هذا الدُّعاء؟ - كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُوده مُفْتَقِرٌ إلَيْك - أيّ استدلالٍ هذا؟! - أيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الـمُظْهِرَ لَك، متى غبتَ حتَّى تَحْتَاجَ إلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْك، ومَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إلَيْك، عَمِيَت عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً - أُخاطبُ الشبابَ السُنيَّ الَّذينَ يتابعونَ هذا البرنامج سمعتُم بمثلِ هذا عندَ غيرِ حُسينٍ وآلِ حُسين؟ - وخَسِرَت صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَل لَهُ من حُبِّكَ نَصِيباً - (أحَبَّ اللّهَ مَن أحَبَّ حُسيناً)، هذه كلمةُ مُحَمَّد صلَّى اللّهُ عليه وآله - إلَهي أمَرْتَ بالرُّجوعِ إلَى الآثَار فَأَرْجِعْنِي إلَيْكَ بِكِسْوَة الأنْوَار - البدايةُ من الآثار، ولكن أبعدني عنها - وَهِدَايَة الاسْتِبْصَار حَتَّى أرْجِعَ إلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إلَيْكَ مِنْهَا مَصُونَ السِّر عَنِ النَّظَرِ إلَيْهَا - لا أُريدُ أن أنظُرَ إلى الآثار - وَمَرْفُوعَ الْهِمَّة عَن الاعْتِمَاد عَلَيْهَا إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِير.

إلى أن يقولَ الدُّعاء: إلَهي حَقِّقْني بِحَقَائِقِ أهْلِ الْقُرْبِ وَاسْلُكْ بِي مَسْلَكَ أهْلِ الْجَذْب، إلَهي أغْنِنِي بِتَدْبِيرِكَ لِي عَن تَدْبِيرِي، وَبِاخْتِيَارِكَ عَن اخْتِيَارِي، وَأوْقِفْنِي عَلَى مَرَاكِزِ اضْطِرَارِي - إلى آخرِ الدُّعاء، هذه حقائقُ المعرفة الحسينيَّة الَّتي يُريدُ الحُسينُ منَّا أنْ تكونَ خدمتُنا المعارفيَّةُ بهذه المستويات..

عَن جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللّه الأنْصَارِيّ - في (غَيبة النُّعماني) المتوفَّى سَنة (٣٦٠) للهجرة/ طبعةُ أنوارِ الهدى/ الطبعةُ الأولى/ قُم المقدَّسة/ الصفحةُ السادسةُ والأربعون، البابُ الثاني، الحديثُ الأوَّل: بِسنَد النُّعماني، عَن جَابِرِ بنِ عَبد اللّه الأنْصَارِيّ قال: وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللّه أهْلُ اليَمن، فَقَالَ النَّبِيّ: جَاءَكُم أهْلُ اليَمَنِ يَبُسُّونَ بَسيسا - جاؤوا يمشونَ بتؤدَّة ووقار - فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسول اللّه قَالَ: قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهم، رَاسِخٌ إيمَانُهُم، مِنْهُم الْمَنْصُور - هذا هو اليمانيّ - يَخْرُجُ في سَبْعِينَ أَلْفَاً يَنْصُرُ خَلَفي وَخَلَفَ وَصِيِّي، حَمَائِلُ سُيُوفِهِم الْمَسْك - الْمَسْكُ جِلدُ الخراف وجِلدُ الماعز - فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّه وَمَن وَصِيُّك؟ - اليمانيونَ يسألون، النَّبي أخبرَهُم بهذه الحقيقة من أنَّ المنصورَ منهُم - فَقَالَ: هُو الَّذي أمرَكُم اللَّهُ بِالاعْتِصَام به فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا" - حبلُ اللّه علي - فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّه بَيِّن لَنَا مَا هَذا الْحَبْل؟ فَقَالَ: هُوَ قَوْلُ اللّه: "إلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللّه وَحَبْلٍ مِنَ النَّاس"، فَالْحَبْلُ مِنَ اللّه كِتَابُه، وَالْحَبْلُ مِنَ النَّاس وَصِيِّي - حديثُ الثَّقلين هذا بصيغة قُرآنيَّة - فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّه مَن وَصِيُّك؟ فَقَالَ: هُوَ الَّذي أنْزَلَ اللَّهُ فيه: "أن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّه"، فَقالُوا: يَا رَسُولَ اللّه: ومَا جَنْبُ اللّه هَذَا؟ فَقَالَ: هُوَ الَّذي يَقُولُ اللَّهُ فيه: "وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْه يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُول سَبِيلاً"، هُو وَصِيِّي والسَّبِيلُ إلَى مَنْ بَعْدِي - مثلما نقرأُ في دُعاء النُّدبة الشريف: (أيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيل)، سَبِيلُ اللّه عليٌّ وآلُ عليٍّ صلواتُ اللّه عليهِم - فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّه بِالَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ نَبِيّاً أرنَاه فَقَد اشْتَقْنَا إلَيه، فَقَالَ: هُو الَّذي جَعَلَهُ اللَّهُ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوسِمِينَ - المؤمنونَ المتوسمونَ هُم الَّذينَ يدركونَ الأمر ببصائرهم وليسَ بأبصارهم - فَإنْ نَظَرْتُم إلَيْه نَظَرَ مَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أو أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد عَرَفْتُم أنَّهُ وَصِيِّي كَمَا عَرَفْتُم أنِّي نَبِيُّكُم، فَتَخَلَّلُوا الصُّفُوف وَتَصَفَّحُوا الوُجُوه فَمَن أَهْوَت إلَيْه قُلُوبُكُم فَإنَّهُ هُو، لأنَّ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ في كتابه - هذا دُعاء إبراهيم للعترة الطاهرة - "فَاجْعَلْ أفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إلَيْهِمْ" - بحسبِ قراءة المصحف، بحسبِ قراءة العترة الطاهرة: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ - أيْ إلَيْه وإلَى ذُرِّيَّتِه - إلى ذُرِّيَّة أمير المؤمنين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه.

-ثُمَّ قَال: فَقَامَ أبو عَامِرٍ الأشْعَرِيّ في الأشْعَرِيِّين - هؤلاء هُم الَّذينَ جاءوا من اليَمَن وهذا كبيرُ الأشعريِّين - وأبو غُرَّة الخَولاني في الخَولانيِّين، وَظَبْيان - ظبيان قبيلةٌ من أهل اليمن، كما أنَّ خولان قومٌ من أهل اليمن عشائر اليمن - وعُثمانُ بنُ قَيس في بني قَيس، وعرنَةُ الدَّوسي في الدَّوسيين، ولاحقُ بنُ علاقة، فَتَخَلَّلوا الصُّفُوف وَتَصَفَّحُوا الوُجُوه - تَخلَّلوا صفوفَ النَّاس الَّذينَ كانوا جُلَّاساً في مجلسِ رَسُول اللّه إنَّهُم الصَّحابَة - وَأَخَذُوا بِيَد الأصْلَع البَطين - يبدو أنَّ تغييراً في التعبير (بَيد الأنْزَع البَطين)، فهذا هو وصفهُ وهذا هُو لقبهُ، هذه كلمةُ الأصلَع تتردَّدُ في الكُتُب إنَّها مُحرفةٌ عن الأنزع - وَقَالُوا: إلَى هَذَا أهْوَت أفْئِدَتُنَا يَا رَسُولَ اللّه، فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَآله: أنْتُم نَجَبَةُ اللّه - أنتُم نُجباءُ اللّه - حينَ عَرَفْتُم وَصِيَّ رَسُول اللّه قَبْلَ أنْ تُعَرِّفُوه، أو قَبْلَ أن تَعْرِفُوه - قَبلَ أن تعرفوه بسببٍ من الأسباب - فبِمَ عَرفتُم أنَّهُ هُو؟ - يا أيُّها القومُ اليمانيون - فَرَفَعوا أصْوَاتَهُم يَبْكُونَ وَيَقُولُون: يَا رَسُولَ اللّه نَظَرْنَا إلَى القَوْم فَلَم تَحُنّ لَهُم قُلُوبُنا وَلَمَّا رَأيْنَاهُ رَجَفَت قُلُوبُنَا ثُمَّ اطْمَأنَّت نُفُوسُنَا - رَجَفَت لَيس خوفاً وإنَّما رَجَفَت حُباً وعشقاً - وانْجَاشَت أكْبَادُنَا وَهَمَلَت أعْيُنُنَا وَانْثَلَجَت صُدُورُنَا - إنَّهُم لا يستطيعونَ أن يُعبِّروا عن الحالة الَّتي عاشُوها، هذه التعابيرُ تقريبيَّةٌ - حَتَّى كَأنَّهُ لَنَا أبٌ ونَحنُ لَهُ بَنُون - وعليٌّ والدُ هذه الأمَّة - فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللّهُ عَلَيه وَآله: "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلَّا اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ"، أنْتُم مِنْهُم - "أنتُم مِنهُم"؛ منزلتُكُم قريبةٌ من الراسخينَ في العلم - أنْتُم مِّنهُم بِالْمَنْزِلَة الَّتِي سَبَقَت لَكُم بِهَا الحُسْنَى، وَأنْتُم عَنِ النَّارِ مُبَعَّدُون، قَالَ: فَبَقِي - قالَ جابر الأنصاري - فَبَقِي هَـؤُلَاء القَوْم الْمُسَمَّون - الأسماءَ الَّتي ذُكرت في الرواية - حَتَّى شَهِدوا مَعَ أمِير الْمُؤْمِنِينَ الجَمَل وصِفِّين، فَقُتِلوا في صِفِّينَ رحمهُم اللّه، وكَانَ النَّبِيّ بَشَّرَهُم بالجَنَّة وأخْبَرَهُم أنَّهُم يُستَشْهَدُونَ مع عَلِي بنِ أبي طالب - لقد

عَرَفوا عَلِيّاً بعليٍ، وهذا هو المنهجُ اليمانيُّ هؤلاء هُم اليمانيّون، ولِذا فإنَّ اليمانيَّ لا يدعو لا إلى نفسهِ ولا يدعو إلى أحدٍ مِن دُونِ صاحب الأمر، يدعو إلى صاحبِكُم؛ (لأنَّهُ يعرفهُ به، يستدلُّ على صَاحِبِنا بِصاحبنا)، هذا هو المنهجُ اليمانيِّ..

أقولُ للَّذينَ كتبوا الرَّسائلَ وسألوا الأسئلةَ عنَ الخِدمةَ الأفضل: هذهِ الخِدمَةُ الحُسنيّةُ الأفضل؛ "إنَّها معرفةُ اللهِ ومعرفةُ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وفقاً للمنهج اليمانيّ أن نعرفَ اللّه باللّه"..

يا أيُّها الحُسينيّون أَلَخِّصُ الكلامَ لكم في جملتين:

- الجُملةُ الأولى: (يَا خَادمَ الحُسين اعْرِف ثُمَّ اخْدم).
- (يَا خَادِم الحُسَين اعْرِفَ إِمَامَك وَعَرِف بِإِمَامِكَ)..